دموع التوبة

للقديس افرآم السرياني

عن مخطوطات الأديرة

مصححة ومنقحة وكافة حقوق الطبع محفوظة

يوسف حبيب

حضرة صاحب الغبطة البابا المعظم

أنبا شنودة الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

القديس مار افرآم السريانى[1]

عظيم من عظماء القديسين فى الكنيسة الأرثوذكسية فى القرن الرابع ، رغم نبوغه وتضلعه فى العلوم اللاهوتية والتفسيرية والروحية ورغم تلك الثروة الكبيرة من مؤلفاته شعراً ونثراً كان متواضعاً منكراً لذاته مستحقاً قال عنه القديس اغريغوريوس أسقف نيصص (كما أن النفس الذى لا يتوقف يعتبر ظاهرة طبيعية فى كل البشر كذلك كانت الدموع بالنسبة لأفرآم ... ، لم يحدث أن شوهدت عيناه فى لحظة من اللحظات غير ممتلئتين بالدموع) كما امتاز فى توحده بالنسك الصارم والتجرد والصلاة الدائمة ، وكثير من مقالاته عبارة عن عظات وتأملات روحية يختمها بالصلوات .

كان أكثر آباء الكنيسة السريانية ذيوع صيت وكان يلقب بالملفان (المعلم) وبنبى السريان وبتيثار الروح القدس - تتلمذ منذ صباه للقديس مار يعقوب أسقف مدينة نصيبين .

ولما دخل الفرس هذه المدينة هاجر منها إلى مدينة الرها Edessa وأصبحت فيما بعد مزدهرة بالعلوم والمعارف ، وفى هذه

(١) عن ميمر دير السريان العامر فى ٧ / ١ / ٦١ .

المدينة سكن احدى المغائر ملازماً الصوم والصلاة ودراسة الكتب المقدسة وظهر له ملاك الرب وأمره أن ينزل إلى المدينة ليعلم وليقف فى وجه الوثنيين والهراطقة فكان يعلم ويعظ متحملا آلاماً كثيرة ، أخيراً عاد إلى جبل الرها مقره الأول المحبوب .

ثم انطلق لى برية شيريت حيث أقام بها حوالى ثمانى سنوات ولا تزال الشجرة الموجودة بدير السريان تحمل اسمه وهى الشجرة الأثرية ، وكانت عكازه الذى غرسه بحديقة الدير وكان أحد الرهبان قد ظن أنه يتباهى به لكن الله أراد أن ينمو ويصبح شجرة كبيرة .

وفى سنة ٣٧١ م التقى بالقديس باسيليوس الكبير الذى رسمه شماساً بعد أن رفض أن يسام قسا .

أخيراً هناك فى جبل الرها وفى المغارة التى أحبها رقد القديس العظيم فى ٩ / ٦ / ٣٧٣ م ، ودفن باكرام عظيم وبنى فوق قبره دير عرف بالدير السفلى تاركاً للكنيسة ثروة كبيرة من المؤلفات النفيسة .

وتعيد له الكنيسة القبطية فى اليوم الخامس عشر من شهر أبيب بركة صلواته تكون معنا آمين ؟

ميامر التوبة

اليمر الأول (١)

« ... ما هى حياتكم . انها بخار يظهر قليلا ثم يضمحل » يع ٤ : ١٤ .

ينبغى لنا أن نحزن لان نسيج حياتنا يبلى كل يوم ، الأيام تجرى لتطردنا من الدنيا ونحن لا نسرع إلى عمل الحسنات وهذا هو الحزن الكبير أن أيامنا تجرى إلى الوراء والخطايا إلى الأمام الحياة تنقضى والذنوب تكثر ، ونحن كمثل بيت كثير المصروفات وليس له من إيراد فهذا سريعاً يخرب ، الأيام والليالى دائبة تجرى فتنقص من أعمارنا ، النهار يدفعنا إلى الليل والليل يدفعنا إلى النهار ، ليس لنا اليوم الحياة التى كانت لنا أمس ، قد قصرها الليل الذى يجىء ويذهب ونحن غافلون .

أعلم أيها الإنسان لو أنك أعطيت جميع مالك على أن تقتنى الحياة التى كانت لك أمس فلن تقدر لأنها جازت مع أمس - ذهبت فلا ترجع ولا يرجع المساء إلى المعين ولا ترجع الشمس

---

(١) من مخطوطة دير السريان رقم ٣١٨ سير قديسين .

إلى الوراء ولن يكف جرى الكواكب ولن يكف جرى الطبائع السريع وكلها تدفعك إلى الخروج من الدنيا. من المشرق يطردك الصباح والمغرب يحرك إلى المساء. الساعات ترمى بك بعضها إلى بعض وكلها من حياتك. تنقضى السنة وقد نزعت من حياتك، يحل الشهر وهو يكمن لك فى أوله وفى تمامه ينقص من عدد أيام حياتك.

أمورك سريعة وطالبوك كثيرون، وحياتك تميل مثل الماء فى الانحدار ومثل الظل السريع الزوال التوبة فيه أبطالت وقامت فى البعد. أما الخطية فإنها فى كل يوم تعمل للقرب، غذاؤها أنك زعمت أنك تتوب لكن يوم توبتك أراه بعيداً جداً، وقد لا يأتى اليوم الذى فيه تتوب. هو هذا الذى فيه تفرح. أيام كثيرة قد جازت ويوم توبتك ما أراه يأتى، وقد يأتى يومك قبله.

أجعل اليوم يوم توبتك لئلا يأتيك الموت فى هذه الليلة الأمر الذى قد تهيبت أن تفعله ابدأ به الساعة إن تحركت فيك فكرة صالحة لا ترقد حتى تبدأ فى عملها، أيام حياتك ليست لك ولا تعرف كم عددها ولست تدرى متى يدركك الموت، لست تدرى اليوم ماذا يأتيك به الليل المقبل، فمن الآن أسرع قبل أن يسوقك، إجر لئلا يدركك. أسرع قبل أن يحبسك، لكنك

حتى الآن تريد أن تتوب وتعد كعادتك بأنك سوف تتوب فإن كنت تسوف بالتوبة فضع للموت حداً ووقت له وقتاً ومره ألا يأتيك حتى تبعث اليه لتشبع من الخطية ثم تتوب متى أردت، لكن إعلم إن الموت ان يسمع لقولك ولا يجيب طلبتك ولا يصدق كلامك لأنك قد كذبته مراراً كثيرة وحتى الآن لم تبدأ بالعمل. القول لعمرى هين، أنت كل يوم تقرر أنك ستتوب، فمالى أراك لا تعمل شيئاً!!.

« من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى، فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة. والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار » متى ٣: ٧-١٠.

من الآن دع القول... وابدأ بالعمل. أنظر إلى الأيام والليالى. ما أسرعها وهى حريصة فى أمورها لا تتكلم... هل تقول الشمس انها تضىء؟. ليس بكلمتها تضىء العالم لكن بعملها. لو أن الصبح بعث إليك أنه آت ولم يأت ماذا كنت تصنع بالليل لأنه لا يكاد يذهب حتى يبزغ الضوء.

ليس بالكلام تنفذ الأعمال لكن بالأعمال تقوم الخليقة، الشمس تنير وتضىء الأرض من غير أن تتكلم وأنت أيضاً ينبغى

ألا تتكلم من غـــير أن تعمل . لـكن أعمـــل ولا تتكلم .

اليوم هو لك أما الغد فلست تدرى لمن يكون ، أنظر إلى النهار ما أسرع ذهابه !! فاحرص أن تذهب معه خطاياك ، لا تغمض عينيك للرقاد حتى تفتح قلبك للصلاة ، بالعشاء إبتعد عن خطاياك وبالغداة أظهر صلاحك . لا يكن قولك بعيداً عن عملك ، قبل أن تقول تهيأ للعمل ، إن تحركت فيك فكرة صالحة فى ليلتك إبدأ بعملها واغتنمها ، وإن تحركت فيـــك فكرة الحسنات فمع طلوع الشمس إبدأ بعمل الصلاح واحذر عمل الشر . لا تتعب فى شىء ليس هو لك وتضيع شبابك باطلا ، لا يكن قلبك منشغلا فيما يفنى عازفا عن العمل النافع .

الحياة سريعة تذهب ، والموت سريعاً يجىء ، الزمان سريع الذهاب وهو متعجل أن يحوز ماخلا يوم توبتك فلا يريد أن يأتى ، أنه قاس لا يلين .

« لأن زمان الحياة الذى مضى يكفينا
لنكون قد عملنا إرادة الأمم سالـكين فى
الدعارة والشهوات ... » ١ بط ٤ : ٣ .

فى شبـابك كنت تقول أتوب إذا ما كبرت فمضى الشباب

وجاء الكبر ولم تتب ... ! أفنيت أيام شبابك بأوجاع الشهوات والذنوب ، وعندما كبرت لا ترغب أن تتوب ، من يوم إلى يوم تطرد التوبة وأظنها قد هربت منك ، فى شبـابك قلت أبقى حتى أصنع هواى وأتوب ، فها الآن قد كبرت ، اطلب التوبة قبل أن يطلبك الموت فإن بعد الموت ليست هناك توبة ، الأيام التى مضت تخبرك عن الأيام التى تأتى ، الأولى لم تختبىء ... ، والأخرى لا تبقى ... ، قد كنت بعيداً عن يومك فأدركك .. . وها هو أيضاً مسرع إلى الذهاب كما ذهبت الأيام الخوالى .

أنظر لنفسك قبل أن يحوز يومك ، واذكر أن شبابك لن يدوم ، تعبر الأيام مثل الظل ومعها تنقضى حياتك .

أطلب إلى الزمان أن يتيم فإن فعل فاغفل عن التوبة ... ! كما ينقضى النهار كذلك تنقضى حياتك وكما يذهب الليل كذلك تذهب . النهـار يشبه شبـابك والعشية تشبه كبرك فاغتنم عملك ما دام نهار ، أسرع قبل أن تدركك الظلمة .

* * *

« ... لأن التراب فى القبر لايسبح ، وليس فى الموتى من يذكر ولا فى الجحيم من يشكر ، بل انهضى يانفسى من رقاد الكسل وتضرعى إلى المخلص بالتوبة قائلة : اللهم ارحمنى وخلصنى » .
صلاة النوم

أنظر إلى الأيام كيف تذهب وإلى الأزمان كيف تتغير ، هى الأيام مثل الموتى ، بالأمس ذهبت وهم ذهبوا ، اليوم ينقضى والغد لا تدرى هل نبلغه ... أقبل على يومك واغتنمه فإنه منطلق تخطف الأيام منك الحياة ، إذا قبرك المساء أقامك الصبح ، فليكن فى كل يوم موت لكيما تتذكر انك ستموت .

مضت الحياة التى كانت بالأمس وان توجد ، وحياة اليوم مسرعة فى الذهاب راقداً كنت أو مستيقظاً فإن الليل لايكف عن الجرى ، حريصاً كنت أو متراخياً والنهار أيضاً لايكف .

الأيام والليالى تنهب حياتك فاقتنص النافع منها ولاتظن أن إشراقة الصباح هى لك ما لم يكن قلبك منيراً بالله ، ولا تظن أن فى المساء نياحا لك ونفسك مظلمة بالخطايا .

« ... تقو وليتشدد قلبك وانتظر الرب » مز ٢٦ .

إلى الآن كنت تعد نفسك بالتوبة وتقول سأتوب غداً فمن

الآن عد الخطية أن تأتيك غداً وقل لها انطلقى اليوم ، ادفع الخطية من يوم إلى يوم كما دفعت التوبة واطرد الخطية بالعمل كما طردت التوبة بالأعذار إلى اليوم ، وكما كنت تؤخر عمل الصلاح كذلك أفعل بالخطية حتى تجد الغلبة ...

كما سخرت بالحق اسخر الآن بالباطل ، عد الخطية انك تفعل ما لا تفعله وادفعها عنك ، تشبث بالصلاح وخلص نفسك ، احيا لله كما حييت للعالم ، تمسك بالدعة كما تمسكت بالغنى ، اطلب النقر كما طلبت الغنية ، درب عقلك فى طاعة الله كما استعملته فى طلب العـــالم .

الآن لم تكن لنفسك بل كنت عبداً للعالم . فمن الآن كن لنفسك واعمل لها ـ ماذا انتفع والداك بأموالهم ألم تأخذها منهم وصنعت بها هواك ؟ فكذلك تؤخذ منك أيضاً ، لكن صيرها لك كنزاً ، اعطها للساكين ، لو أن ســـارقا نهبك لصحت وولولت وها هى حياتك تسرق منك ولا تتحرك .

لا تحسب لك حياة إلا الزمان الذى أطعت فيه الله . الوقت الذى كنت فيه تعمل الخطايا فى الدنيا كنت ميتاً . نعم كنت ميتاً ، كف عن الشر كما كنت تكف عن الخير .

«فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتة ... إسهروا إذا وتضرعوا في كل حين»

لو ٢١ : ٣٤-٣٦.

من الآن لا تسوف التوبة لكن أسرع واهرع إلى الله، العالم زهو فلا يطغيك ... هو حلم فلا يسبيك ... هو ظل لا تنظر إليه ... هو قصبة مرضوضة فلا تتعب يدك ... ، هو بحر عظيم فلا تغرقك أمواجه ... إنه سيجوز كما هو مكتوب، غناه يبطل، حسنه يتغير، ونسيج سلطانه يبلى، شرفه يسقط، خيراته تتبدل، سروره لا يبقى، شهواته تبطل، وهو وما فيه يزول.

عهد وميثاق

تعال من الآن نصنع براً وتوبة، متى يكون ذلك؟ هلا نظل كل أيام حياتنا نطلب التوبة ...؟ الآن باق لك حياة قليلة أجدر لا تضيعها كما ضيعت ما قبلها.

فلنسأل الله ربنا وإلهنا ومتولي خلاص نفوسنا أن يجعلنا أهلا للرحمة ... له المجد من الآن وإلى الأبد آمين ؟

الميمر الثاني

«وإذا إمرأة في المدينة كانت خاطئة إذ علمت أنه (يسوع) متكىء في بيت الفريسي جاءت بقارورة طيب ووقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبل قدميه بالدموع وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب. فقال للمرأة إيمانك قد خلصك اذهبي بسلام»

لو ٧ : ٣٦-٥٠.

حتى متى تحتمل العدو وتكمل كل حين ما يسره، حتى متى تخدم الجسدانيات الحاملة الموت وتتعبد لها؟ - تمسك بمشورتي فتحييك وتطهر نفسك مع جسمك، تقدم الى المخلص بتوبة حارة، قد استيقظت فلا تعد تخطىء كل يوم وتبنى وتنقض مشابهاً الصبيان الذين يبنون بيوتاً وينقضونها، حد عن العقرب الذي عرفت لدغته، أهرب بحرصك من الحية التي اختبرت سمها لأن من يصطدم بالحجر نفسه دفعتين هو أحمق وأعمى لا يبصر ما يجب أن يهرب منه.

إذا كان لك مثل هذا الحرص فستزداد في التوبة وإذا وهبت

مثل هذا العزم فاسترحم الخالق واستعطفه متواضعا حزينا مطرقاً مبتهلا متوجعا على ما لحقك .

هكذا خلص زكا العشار ، وهكذا ظهر متى عبداً للمسيح، وهكذا المرأة الزانية ... أنظر إلى نينوى التى أمر الرب بسرعة دمارها وسقوطها ، لكن لما عاين المتنعمين لابسين مسوحا وفى الرماد والجوع والصوم والنوح والبكاء والدموع ، تعطف ورفع غضبه عنهم ـ فلهذا اسرعوا تضرعوا فالرب مستعد للشفاء السريع توسل إلى القادر أن يعطى ، إذا وقعت إنهض ، إذا برئت أثبت وحذر عن المرض الذى كنت مطروحا فيه، لاتضرم القلوب الذى أطفأته ، لا تعبر بالخأة التى بالجهد غسلت منها لئلا تماثل الخنازير التى تفرح بالخأة ...

صـــلاة

« ... أشفنى يارب فابرأ ايها الطبيب ،منحنى أتوســـل الى صلاحك أشف جراحات نفسى وأضىء عينى ذهنى لا تأمل تدابيرك كل حين . ماذا أقول ياذا العلم السابق الفاحص القلوب والكلى ، أنت وحدك قد عرفت أنى مثل أرض لا ماء لها قد عطشت اليك نفسى . لا تعرض الآن عن طلبتى فإنى إياك أطلبك

وحدك ، فمنذ الآن أرسل نعمتك سريعاً لتوافى لإغاثتى وتشبع جوعى وتروى عطشى» .

إليك أشتاق أيها السيد الذى لا يشبع منه لأن من يستطيع أن يشبع منك إذا أحبك بحق وعطش إلى نورك. يا معطى النور اعطنى طلبتى واقطر فى قلبى نقطة واحدة من نعمتك وليتقد فيه لهيب محبتك كالنار فى الغابة ليأكل الأفكار الخبيثة ، أعطنى بلا عدد كما يليق بالإله المعطى الإنسان . ويا من أشبعت خمسة آلاف أشبع فقرى من صلاحك . أعط عبـــدك طلبته لأن ها الهواء يتباهى والطيور تبدل نغماتها والأرض كلها لابسة حلل الأزهار الملونة التى نسجت بغير أيد بشرية ... وها البحر يزداد من نعمتك ...

أيها القـابل فلسى الأرملة أقبل طلبة عبدك وامنحنى سؤالى لأصير هيكلا لنعمتك وتسكن فى وتعلنى كيف أرضيك .

أيها المسيح خلصنى الصالح أمطر فى قلبى قطرات نعمتك، وكما أن الأرض المروعة لا تستطيع أن تربى من ذاتها الغلات بغير افتقاد خيراتيك ، هكذا قلبى لا يستطيع أن ينطق بالصالحات إلا بنعمتك ...

وماذا أقول الآن فإن صلاتى ضعيفة وآثامى قوية وعظيمة وخطاياى وأمراضى توجعنى ، فيا من فتحت عينى الأعمى أفتح عينى ذهنى لكيما أتأمل كل حين جمالك . ويا من وضعت لجاماً للبحر بكلمة أمرك ضع على قلبى لجاما بنعمتك لكى لا يجنح يميناً أو يساراً عن جمالك ، ويا من أعطيت ماء فى القفر للشعب الذى لايذعن أعط نفسى تخشعاً وعينى دموعاً فأبكى ليلا ونهاراً على أيام حياتى . أعطنى من زرع قداستك حتى أقدم ثماراً مملوءة خشوعاً وأشكر صارخا المجد لك أيها المعطى .

أسمع يارب صلاة عبدك بشفاعة كافة قديسيك يامن لم يزل مباركا إلى الدهر آمين .

الميمر الثالث

« فأميتوا أعضاءكم التى على الأرض الزنا ، النجاسة ، الهوى ، الشهوة الردية ، الطمع الذى هو عبادة الأوثان ، الأمور التى من أجلها يأتى غضب الله على أبناء المعصية الذين بينهم أنتم سلكتم قبلا حين كنتم تعيشون فيها . . . »
كولوسى ٣ : ٥ - ٩ .

. . . إذ قد تقدمت وعرفت ما هى آخرة الخطية وما تسببه للذين يتورطون فيها ، فاهرب من اللذة فإن أثمارها أثمار الخزى ، فقبل اللذة شهوة وبعد اللذة حزن ، كرر الإفتكار فى أن اللذة يعقبها حزن وخزى واهرب من الخطية . . . خف الله ، أطرد الشيطان الذى يريد أن يخدعك ويسرق أتعابك . . . تيقظ فى حداثتك فإن توانيت كنت متعبداً الآلام وخادمها من شبابك إلى شيخوختك لأن من غرق فى اللجة وان تيقظ وجاهد تقوى عليه الأمواج ، فأما من يغرق فى الميناء فليس له عذر ، بإهماله أهلك سفينة سيدة . . . تيقظ إذن فإن السقطة ليست بعيدة ، جاهد وتمسك بخوف الله . . .

أطلب إليك ألا تفسد بنوع ما هيكل الله ولا تحزن روح الله الساكن فيك ولا تغم الملائكة المأمورين أن يحفظوك نهاراً وليلا ويطردون الشياطين عنا كل حين ... إن أخبرك العدو قائلا ستكون لك توبة فلذلك تمنع بما تؤثره ، قل له ما الحاجة أيها المخادع ان أنقض بيتاً مبنياً بناء حسناً وأبنى آخر أيضاً ...

صـــلاة

... يا نفسي لم تتوانين ، لم تتهاونين ، يا نفسي أعـــرفي ضعفك ، حتى متى تقاومين من خلقك وتخالفين أوامره ... لمن أقول ليبكي على أنا الشقي لأن العدو أوقفني مجرداً لكني لا أيأس من خلاصي لأنه جزيل التحنن والصلاح ... يا نفسي أهربي من العدو ومن أعماله فإنه ماقت الناس وقاتل الإنسان منذ القديم واقبلي إلى طريق الخلاص ...

أسألك يارب وأتضرع إليك ألا تطرحني من وجهك ولا تبعد عني لئلا أهلك ، لأنه لولا يدك ســـترتني كنت هلكت وصرت كغبار قدام الريح وكمن لم يظهر البتة في هذا العالم ، لأني مذ تركت طريقك لم ألق يوماً صالحاً ، فمنذ الآن أترجى نعمتك

أن تعينني وتؤيدني ... أسجد لك طالباً أن تعضدني ، أسكب على كثرة زلاتك كما سكبتها على الإبن الشاطر فإني قد أخزيت سيرتي، بددت ثروة نعمتك، أرحمني ولا تأخذني بالقصاص بسيرتي الطالحة كما لم تأخذ الزانية والعشار . تراءف على كالص ... لأنك يا رب ما جئت لتدعو صديقين إلى التوبة بل الخطاة ...

صل أيها الحبيب واعترف ولتساعد الصلاة والاعتراف العمل لكيما تقوم صلاتك كبخور قدام الله ويقيمك القاضي العادل في ذلك اليوم عن يمينه، وله يليق المجد والإكرام والسجود إلى أبد الدهور آمين .

† † †

الميمر الرابع

« كن ساهراً وشدد ما بقى الذى هو عتيد أن يموت لأنى لم أجد أعمالك كاملة أمام الله ، فاذكر كيف أخذت وسمعت واحفظ وتب فإنى إن لم تسهر أقدم عليك كلص ... » .

رؤ ٣ : ٢ ، ٣ .

... تعالوا يا أحبائى واسمعوا قولا يخلص نفوسكم ، هلموا لنتجر مادام السوق قائماً ، تعالوا فنجد حياة أبدية ، هلموا فنبتاع خلاص نفوسنا ، أملأوا أعينكم دموعاً فى الحين تنفتح أعين ذهنكم ... لنتضرع مع داود النبى قائلين أكشف عن عينى فأتأمل عجائب من شريعتك ، أنر عينى لئلا أنام فى الوفاة ، ولنهتف كما هتف الأعمى يا ابن الله ارحمنى ، فإن منعنا قوم وانتهرونا لنصمت فلنصرخ نحن بالأكثر ولا نضجر من الصراخ إلى أن يفتح يسوع المعطى النور أعين قلوبنا ، تقدموا إلى المسيح إقتربوا منه واستضيئوا لئلا تخزى وجوهكم ... إجتهدوا فى هذه الساعة الحادية عشرة ، حاضروا لئلا يغلق الباب دونكم فقد قرب المساء الذى يوافى فيه المعطى الأجر بمجد جزيل ليعطى كل واحد نظير أعماله .

فلنتب يا إخوتى مادام لنا وقت ، قد سمعتم أن فرحاً يكون فى السماء بخاطىء واحد يتوب فمن تخاف ؟ الملائكة يسرون وأنت تتوانى ، رئيس الملائكة هو الكارز بالتوبة وأنت تهرب ، الثالوث الطاهر يستدعيك وأنت تلهو ...

ها أنذا واقف على الباب وأقرع ، إن سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معى . من يغلب فسأعطيه أن يجلس معى فى عرشى ... » .

رؤ ٣ : ٢٠ - ٢١ .

هلموا يا إخوتى قبل ورود ذلك اليوم الرهيب ، لنلق أنفسنا فى لجة رأفات الله ... تب أيها الأخ ولا تحجن ، تب أيها الخاطىء واثقاً وناظراً إلى تعطف المسيح الذى لا يحصى القائل ما جئت لأدعو صديقين بل خطاة إلى التوبة . تب لئلا تخجل أمام المقام المرهوب ، حيث تقف بخوف حيث ألوف وربوات الملائكة ورؤساء الملائكة حين تصير الأشياء المكتومة ظاهرة ، حين تفتح الكتب ، حين يفرز بعض من بعض ، حين يفرز الغنم من الجداء ... بالحقيقة انها ساعة مرهوبة مفزعة ... نحيب الخطاة غير محتمل ، والدموع غير نافعة ، حينئذ تفتح الكنوز والصديقون يتمتعون ، مغبوطون هم الذين عطشوا وجاعوا فإنهم هناك

يشبعون . ويل لمن يشبعون فإنهم هناك يجوعون ويعطشون . الطوبى للذين إفتقروا وبكوا فإنهم هناك يضحكون ، وويل للذين يضحكون الآن فإنهم هناك ينوحون ويبكون ، والطوبى للذين رحموا فإنهم يرحمون والويل للذين لا رحمة لهم ...

لقد سمعتم كيف يطوب الرب المجاهدين وكيف يعطى الويل للمتوانين ، فإذ لنا مثل هذه كلها فلنحرص أن نخلص ولا نلتفت إلى المتنعمين والمتوانين فإنهم كالحشيش يجفون سريعاً .

«لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه وماذا يعطى الانسان فداء عن نفسه » . متى ١٦ : ٢٦

لا تحب هذا الدهر فإنه يعرقل الذين يحبونه ، يطرب ساعة ويرسل الإنسان إلى ذلك العذاب عارياً . اسمع قول يوحنا اللاهوتى : لا تحبوا العالم ولا شيئاً مما فيه فإن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة والعالم يمضى وشهوته أما من يعمل مشيئة الله يبقى إلى الأبد .

اسمع قول الرب: ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه... ماذا تتوقع ؟ ماذا تفتكر؟ من يعتذر عنك؟ أما عرفت ان كل واحد يعطى عن نفسه لله جواباً ؟ أما تيقنت أن كل واحد

يحصد ما قد زرع ؟ فإذ لك وقت بعد تقل خطاياك فإن الله العطوف يستدعيك قائلا : تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين وثقيلى الأحمال وأنا أريحكم ، انه يأمر الكل بهذا فلا ييأس أحد .

إن الحاجة ماسة إلى الدموع لتغسل أوساخنا قائلين مع داود المرتل : أغسلنى فابيض أكثر من الثلج ، وأيضاً « أحم كل ليلة سريرى وأبل فراشى بدموعى » ـ ذاك إنما خطأ ليلة واحدة فبكى كل ليلة ...

إذ تركنا أعمال الأمم فلا نعود إلى الأشياء التى وراء ، أى التى قد سلفت ونعملها أيضاً ، قد بعجت الشيطان وملائكته دفعة ووافقت المسيح بحضرة شهود كثيرين ـ فانظر أمام من قد وقفت وتعهدت ولا تستهن به وأعلم هذا أنه فى تلك الساعة كتبت ملائكة أقوالك وتعهداتك وخضوعك وخبأوها فى السموات الى يوم الدينونة الرهيب ... فى ذلك اليوم يحضر الملائكة كتاب الوثيقة التى عليك وكلمات فمك أيام المقام المرهوب حيث يقف الملائكة مرتعدين ، وحينئذ تسمع الصوت المعطى الويل : أيها العبد الخبيث من فمك أدينك بالحقيقة أنك تتهدد حينئذ تنهداً مراً وتبكى فى تلك الساعة ولن ينفعك شىء .

أرحم نفسك ولا تبغض ذاتك افتح عينيك وأبصر كيف

ان قوماً كثيرين يجاهدون ، كيف يحرصون ان يخلصوا ، كيف يتعبون ذواتهم فى كل عمل صالح ... كيف قد أعدوا مصابيحهم بهية ، كيف يسبح فهم كل حين، وعيونهم متأملة جماله ونفوسهم مبتهجة .

« لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحر ، لأن الخروف الذى فى وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية ويمسح الله كل دمعة من عيونهم » .

رؤيا ٧ : ١٦ ، ١٧ .

تأمل وانظر أنه قد قرب ولا يبطىء ليعزى الذين ناحوا وبكوا لا على المائت ولا على خسارة المال الوقتى بل من أجل الخطية ، ومن أجل الملك الذى لانهاية له ، ومن أجل نعيم الفردوس الذى أخرجنا منه لما خالفنا وصية الله . يأتى ليعزى الذين سلكوا الطريق الضيق . . . ليرحم الرحومين ، للذين تمسكنوا من أجله ، ليشبع الذين جاعوا من أجله ... يأتى لينير مكتومات الظلمة ويظهر آراء القلوب . . . يأتى فى مجده ومجد أبيه ليجازى كل واحد حسب أعماله... حينئذ تضرب الأبواق فتنزعج قوات السماء ويوافى الختن فيفرح الذين لهم مصابيح مضيئة وحلهم منيرة فيسمعون صوت الختن: تعالوا إلىّ يامبارك

أبى رثوا الملك المعد لكم من قبل إنشاء العالم ، وإذ ذاك يخرج إلى إستقباله الذين لهم مصابيح مضيئة بهية بدالة جزيلة مبتهجين واثقين أن مصابيحهم لا تنطفىء . حينئذ إذا رأيت مصباحك انطفأ تقول بخزى وخجل يا إخوتى أقرضونى زيتاً قليلا فقد انطفأ مصباحى فيجيبونك قائلين لعله لا يكفينا وإياك ، لكن اذهب الى الذين يبيعون ـ فاشتر ، فتمضى بخزى وتوجع وتنهد فلا تجد البتة زيتاً تشتريه لأنه قد إنحل موسم الحياة ... قد انصرف الفقراء الجالسون حول أبواب الكنائس الذين يبيعون الزيت هناك ، فتضيق بك الأمور من كل جهة وتتحير باكيا منتحباً قائلا : امضى فأقرع باب المسيح لكن من يعرف إن كان يفتح لى ، فإذا جئت تقرع يجاوبك الختن من داخل : حقاً أقول لك لست أعرفك ، إنصرف عنى يا فاعل الإثم ، ما رحمت فلا ترحم ، ما سمعت صوت الفقراء ولا أنا أسمع صوتك ، كنت تسمع كتبى المقدسة وتضحك ، فلهذا لا آمرك أن تدخل . نبذت أوامر أنبيائى ورسلى ... انصرف عنى ، كيف تؤثر أن تدخل هنا وتدنس مملكتى ، دنست جسدك وعملت مشيئة العدو وطرحت عنك مشيئتى وابغضت قريبك ، والآن تتضرع أن تدخل إلى حيث لم ترسل شيئاً ، حيث ليس لك شيء ،

لا دموع ولا بكاء ولا صوم ولا سهر ولا تسبيح ولا بتولية ولا صبر ولا صدقة ولا شيئاً من هذه تقدمت فأرسلته إلى هنا ، فكيف تسكن هنا !!؟ هذا مسكن الذين جاهدوا من أجلي ، هذه مملكة الرحومين ، هذا الفرح للنائحين ، هذا السرور للنادمين والتائبين ، هذه الراحة للصائمين والساهرين ، هذه الحياة لليتامى والأرامل . هنا يفرح الذين جاعوا وعطشوا فرحاً مؤبداً . فأنت قد استوفيت خيراتك في حياتك ، انصرف عني إلى النار المؤبدة . . .

هذه تسمعها واقفاً بخزي مطرقاً إلى أسفل وفي وقوفك يأتي إلى أذنيك صوت الفرح والابتهاج ، وتعرف صوت كل واحد من رفقائك فحينئذ تتنهد تنهداً مراً قائلا : ويلي أنا الشقي كيف عدمت هذا المجد وتميزت عن رفقتي ، كنت معهم طول أيام حياتي والآن إنفصلت عنهم . . .

لا تنخدعوا يا إخوتي الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد ، فمن يزرع لجسده يحصد هواناً ، ومن يزرع الروحيات يحصد حياة خالدة . . .

° ° ° °

« في الأتعاب أكثر، في الضربات أوفر ، في السجون أكثر ، في الميتات مراراً كثيرة ، من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة ثلاث مرات ضربت بالعصي ، مرة رجمت ، ثلاث مرات إنكسرت بي السفينة ، ليلا ونهاراً قضيت في العمق ، بأسفار مراراً كثيرة ، بأخطار سيول ، بأخطار لصوص ، بأخطار من جنسي ، بأخطار الأمم ، بأخطار في المدينة ، بأخطار في البر ، بأخطار في البحر ، بأخطار من إخوة كذبة ، في تعب وكد ، في أسهار مراراً كثيرة ، في جوع وعطش ، في أصوام مراراً كثيرة ، في برد وعرى عدا ما هو دون ذلك التراكم علي كل يوم ، الاهتمام بجميع الكنائس . . . » (٢كو ١١: ٢٤-٣٢)

لا يخفق قلبكم للاهتمام بالعالم ، فلتسع من أجل الحاجة لا من أجل التنعم ، ولترض بالقوت الكافي . إن رمتم التنعم والاستكثار فسيكون تعبكم شاقاً وجريكم لا ينقطع وغمكم لا ينتهي وحياتكم مثقلة بالاهتمام - يا إخوتي إن الحاجة إنما هي إلى شيء واحد كما قال الرب ، وهذه الأشياء يجب أن تبذل

فيها اليسير من همنا من أجل حاجة الجسد ، أما هذه الفضائل فيجب أن نصنعها بلا فتور من أجل خلاص النفس ، لأنه ليس شيء أعنى قدراً من خلاص النفس ، فمن أجلها يا إخوتى فلنهتم ولنستعد كل يوم ولا نفنى زماننا فى الاهتمام بالجسد ، لكن إذا جاع الجسد وطلب طعاماً تذكر أنت أن النفس تطلب حاجتها ، وكما أن الجسد إن لم يتناول خبزاً لا يستطيع أن يعيش كذلك النفس إن لم تتغذى بالحكمة الروحانية فهى ماتتة .

أتشاء أن تسمع عن المحبين للمسيح والساكنين فى الطريق الضيق اسمع الرسول قائلا : فى كل شيء نظهر ذواتنا كما يليق بخدام المسيح ، بصبر كثير وغم ، بشدائد ، بضيقات ، بجراحات بحبس ، باضطرابات ، بأتعاب ، بأسهار ، بأصوام ...

فلنتب زماناً يسيراً ولنملك إلى الأبد ... ليكن المزمور كل وقت فى فمك ، ما دام لنا أوان التوبة فلنداوه بالعبرات ، وقت التوبة قليل وملك السموات لا نهاية له .

نحن نطوب القديسين ونتوق إلى أكاليلهم ولا نشاء أن نثابر فى جهادهم ، هل تظنون أنهم كللوا بغير أتعاب وأحزان ... أية راحة كانت للقديسين فى هذا العالم ، بعضهم ضربت أعناقهم ، آخرون ذاقوا السخرية والاستهزاء ، دفعوا للسياط والقيود

والحبس ، رجموا ـ نشروا وماتوا بحد السيف ، طافوا بجلود غنم وبجلود معزى ، معوزين مذابين ... قوم لم يستحقهم العالم تائهين فى البرارى والجبال والمغائر وشقوق الأرض ... وفى سرور إحتملوا كل هذه وما شابهها إذ كانوا ينظرون إلى الخيرات المحفوظة فى السموات التى لم ترها عين ولم تسمع بها أذن ولم تخطر على قلب بشر التى أعدها الله للذين يحبونه ...

الويل للمتوانى لأنه سيطلب الزمان الذى أضاعه عبثاً ولا يجده .

فلنتعب إذن يا اخوتى أنفسنا فى كل عمل صالح ولنعزى ذواتنا ولنحفظها ولينير الواحد نفس الآخر ... وليكن حديثنا عن الديونة وعن أعتذارنا ولنتأمل كيف تدرج السماء كالدرج ، وكيف تنثر النجوم كورق التين . وكيف تفنى الشمس والقمر ... وكيف تضطرب قوات السماء ... كيف تتجاوب أصوات الأبواق كيف تنتفح القبور ، كيف ينهض الراقدون كما من نوم ، كيف يبادر القديسون إلى الاستقبال كيف يؤهل المستعدون إلى الدخول ...

لنطلب يا اخوتى الملك الذى لا نهاية له ولا انقضاء ، لنطلب

ذلك الفرح الدائم فنكون مع المسيح الذى له المجد من الآن وإلى الأبد آمين ؟

† † †

والآن إذ أقبلت إلى الله تائباً ونادماً اعترف بخطاياك أمام الكاهن وتناول من الخبز السمائى ، وتأمل بابتهاج فى ميمر فرح التائبين الذى به نختم ميامر الدموع ، لأن الذين يزرعون بالدموع بالفرح يحصدون ، ولأن ثمر الروح فهو محبة . فرح . سلام . . .

طرح الفعـــلة (١)

« ... العجل سمين فلا يخرج أحد جائعاً . . . »

من كان حسن العبادة ومحباً لله فليتمتع بهذا العيد المجيد البهى ، من كان عبداً شكوراً فليدخل فرح ربه مسروراً ، من تحمل تعب الصوم فليأخذ الآن الدينار . من أشتغل منذ الساعة الأولى فليتناول اليوم أجرته الواجبة ، من أتى بعد الساعة الثالثة فليعيد شاكراً ، من وصل بعد الساعة السادسة فلا يتوقف فإنه لن يخسر شيئاً . من تخلف الى الساعة التاسعة فليأت غير مرتاع . من لم يأت إلا عند الساعة الحادية عشرة فلا يخجلن من ابطائه ، لأن السيد سخى يقبل الأخير مثل الأول ، يريح صاحب الساعة الحادية عشرة مثل صاحب الساعة الأولى ـ يرحم الواحد وينعم على الآخر . يهب لهذا ويغفر لذلك ، يقبل الأعمال ويترك السيئة ، يثيب العمل ويمدح القصد .

أدخلوا إذن كلكم إلى فرح ربنا أيها الأولون والآخرون ،

---

(١) طرح العمة المقصود به أصحاب الساعة الحادية عشرة وتابوا ونالوا الجزاء كالأولين ـ يقال لها عيد القيامة المجيد وهو قداس يوحنا ذهبى الفم .

اقبلوا الجزاء أيها الأغنياء والفقراء، تهللوا معا أيها الصالحون والخطاة كرموا هذا العيد، الذين صاموا والذين لم يصوموا، أفرحوا اليوم معا - المائدة ملآنة فتنعموا كلكم - العجل سمين فلا يخرج أحد جائعا. تمتعوا كلكم بوليمة الإيمان، لا ينح أحد شاكيا الجوع لأن المملكة المشتركة قد ظهرت. لا يبكين أحد آثامه لأن الغفران قد نبع من القبر. لا يخشين أحد الموت لأن موت المخلص قد حررنا جميعا لأنه أباد الموت لما خضع. سبى الجحيم لما انحدر اليه - مس الجحيم جسده فتقضى الجسد عليه كما تنبأ أشعياء عندما صرخ قائلا قضى على الجحيم لما نهض من أسفل ليلتقيك، قضى عليه وقيده، أمسك جسداً فصادف إلها، تناول أرضا فصادف سماء، أخذ ما نظر فسقط من حيث لم ينظر. أين شوكتك يا موت أين غلبتك يا جحيم. قام المسيح والأبالسة سقطت، قام المسيح والملائكة تهللت، قام المسيح والحياة أعيدت، قام المسيح ولم يبق ميت فى القبر لأن المسيح الذى قام من بين الأموات صار باكورة الراقدين وله المجد والعزة الى دهر الدهور آمين.